جهود الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي المتوفى عام 963 ه في تفسير القرآن وعلومه من خلال تفسيره الموسوم (رياض الأزهار وكنز الأسرار سورة الرعد أنموذجا)

د. أبوبكر إبراهيم خليفة سعد السراري

الملخص

قسمت البحث إلى المقدمة وأهمية البحث ودوافع إختيار البحث والمنهج المتبع والنتائج والخاتمة.
لقد ذكر الخروبي رحمه الله في تفسيره أن يجمع ويربط بين التفسير الظاهري والتفسير الباطني للقرآن الكريم، و أشار إلى ذلك بقوله" اعلم أن القرآن له ظاهر وله باطن ، فظاهره العلوم والأحكام وباطنه الحقائق والأسرار ، فمنهم من اشتغل في الكلام على ظاهر القرآن واقتصر على علومه الظاهرة، العلوم الباطنة من الحقائق والأسرار .
يقول الخروبي: ولنأتي معه بما أمكن من أسباب النزول، للفوائد المتعلقة به وفي ذلك إشارة إلى أهمية أسباب النزول في فهم الآية ما أمكن ذلك ، ومنه قوله تعالى : ﴿**وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ**﴾ قال قتادة وابن جريج : نزلت في قريش حين عاهدهم -ﷺ- عام الحديبية ، فكتب إليهم كتاباً فيه بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال قائلهم : نحن لا نعرف الرحمن ، والرحمن هنا يراد به الله -تعالى- وذاته ، ونسب إليه الكفر به على الإطلاق ، وقصة الحديبية وقصة أمية بن خلف مع عبد الرحمن بن عوف إنما هي إباية اسم فقط وهروب عن هذه العبارة التي لم يعرفوها إلا من قبل محمد-ﷺ-.
نحن هدفنا أن نجمع فيه بين الطريقين ليكون جامعاً بين الشريعة والحقيقة. " ورأيت أن ابحث في هذا التفسير سورة الرعد كنموذج يجسد نموذج فريد من نماذج التفاسير. واهتميت بمزج الشيخ الخروبي رحمه الله، بين تفسير القران وعلومه مما جعل له قيمة علمية كبيرة تستوجب أن نُظهره إلى النور ليستفيد منه كل من لديه رغبة في الاستفادة.

استلمت الورقة بتاريخ 2024/07./12، وقبلت بتاريخ 2024/07/25، ونشرت بتاريخ 2024/08/01

الكلمات المفتاحية:
تفسير ، القران الكريم ، سورة الرعد ، الخروبي.

المقدمة

وتلقى فيها تعليمه الأول ، وجالس فيها أكابر العلماء ، إضافة إلى أن الخروبي نفسه أثبت هذه النسبة في جُلِّ مؤلفاته[3].
أما عن مولده فقد اتَّفقت أغلب المصادر والمراجع التي ترجمت للخروبي على أن مولده كان بقرية (قرقارش) وهي إحدى قرى مدينة طرابلس تقع في الجهة الغربية منها ، وتبعد عنها بحوالي ثلاثة أميال أو أربعة ، وتعتبر الآن بحكم التوسع العمراني من أهم أحياء المدينة ، ويوجد فيها الآن مسجد يُعرف بمسجد الخروبي ، وقد جُدِّدَ وكُتِب على مُدخله : (تمَّ تأسيسه سنة 1394هـ 1974م بضريح ولي الله سيدي علي الخروبي) وهذا الضريح بجوار المسجد وبه قبر الشيخ علي الخروبي وقبر آخر كما توجد على مقربة منه زاوية للذاكرين ملحقة بالمسجد[4]،واختلفت هذه المصادر والمراجع في تحديد دقيق لتاريخ ميلاده ، فمنهم من يرى أنه وُلد سنة 880هـ كما عند الأستاذ المرحوم المهدي البوعبدلي والشيخ محمد شنب الجزائري[5]،ومنهم من يرى أن ولادته كانت بعد سنة 886 هـ كما ذكر ذلك المرحوم الدكتور إبراهيم رفيدة حيث يقول : إن مولد أبي عبد الله الخروبي كان بعد سنة 886هـ الموافق 1481م ؛لأن زواج أبيه من أمه كان حوالي هذه السنة[6]، وقد رجَّح الدكتور محمد حسين القذافي بعد بحثٍ وتدقيق أن تكون ولادته ما بين سنتي 887هـ - 889هـ[7] على الأكثر .

من المعروف أن الإنسان وليد بيئته ، يؤثر فيها ويتأثر بها ؛ لذلك من المهم قبل الدخول في تفاصيل حياة أبي عبد الله الخروبي أن نلقي نظرة ولو قليلة على العصر أو البيئة التي عاش فيها فأقول :
إن منطقة المغرب العربي ، منذ انهيار دولة الموحدين سنة 1268م وهذه المنطقة تعج بالفتن والقلاقل والاضطرابات حتى انقسمت بالتدريج إلى ثلاث دويلات صغيرة هي :

1. دولة بني مرين : بالمغرب الأقصى
2. دولتا دولة بني زيَّان وبني حفص.

اسمه ونسبه
أجمعت أغلب كتب التراجم[1]التي ترجمت لأبي عبد الله الخروبي تقريباً على أن الاسم الكامل لـه هو أبو عبد الله محمد بن علي [2]الخروبي ، إلاَّ أنها اختلفت في نسبته ، فمنها ما نسبه إلى طرابلس ، ومنها ما نسبه إلى الجزائر ، ومنها ما نسبه إلى صفاقس ، إلى غير ذلك ، ولكلٍ منها وجهة نظر في مبرر هذه النسبة ، فمَن نسبه إلى طرابلس راعى في ذلك مكان الولادة والنشأة ، إذ إن من المُجمع عليه أن أبا عبد الله الخروبي وُلد في طرابلس وأمضى فيها سنوات من عمره ،

التفسير. ويمكن الإشارة إلى بعض ما تناوله الخروبي في تفسيره وذلك على النحو التالي :

أولاً : تفسير القرآن بالقرآن

تفسير قوله تعالى : ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ**﴾ (44)الآية سورة الحاقة ، وقوله : ﴿**إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ** ﴾ (45)الآية سورة الإسراء ، يقول الخروبي : "فمعناه أن هذا جزءا من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله ، وهو -ﷺ- لا يفعله واستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿**وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ** ﴾ (116)الآية سورة الأنعام فالمراد غيره ، كما قال : ﴿ **إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ** ﴾(149)الآية سورة آل عمران وما أشبه ، فالمراد غيره ، وإن هذا حال من أشرك ، والنبي -ﷺ- لا يجوز عليه هذا ، وقوله تعالى : ﴿**اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ** ﴾ (1)الآية سورة الأحزاب فليس فيه أنه أطاعهم والله ينهاه عما يشاء ويأمره بما يشاء،كما قال تعالى :﴿**ولاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم** ﴾ (52)الآية سورة الأنعام ، وما كان طردهم -عليه السلام- ولا كان من الظالمين.

ثانياً : الاحتجاج بالحديث النبوي في تفسير بعض آيات القرآن الكريم

تفسير قوله تعالى ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ** ﴾(3) الآية سورة يوسف، إلى قوله : ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ (3) الآية سورة رعد، وقد استدل الخروبي بحديث الرسول -ﷺ- أن أصحاب الرسول مَلُّوا مَلَّة فقالوا: لو قَصَصْتَ علينا يا رسول الله، فنزلت الآية، ثُمّ مَلُّوا مَلَّة أخرى فقالوا: لو حدّثنا يا رسول الله؟ نزلت ﴿ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ** ﴾ الآية (23) سورة الزمر ، والقَصَصْ.

تفسير سورة الرعد[30]، وهي خمس وأربعون آية

قال سعيد بن جبير : هي مكية ، وقال قتادة : مدنية غير قوله : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا ﴾ الآية . حكاه الزهراوي ، وحكي المهدوي[31] عن قتادة : أن السورة مكية إلا قوله ﴿ **وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ** ﴾ الآية وقال النقاش[32] : هي مكية غير آيتين قوله : ﴿ **وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ** ﴾ (31) ا لأية سورة رعد وقوله ﴿**وَمَنْ عِندَهُ أم الْكِتَابِ**﴾ [33] والظاهر عندي أن المدني فيها كثير ، وكل ما نزل في شأن عامر بن الطفيل[34] وأربد بن ربيعة فهو مدني .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

قوله تعالى﴿ **المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ** ﴾الآية إلى قوله : ﴿ **لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ** ﴾ ويخص هذا الموضع ما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنه : إن هذه الحروف هي من قوله : أنا الله أعلم وأرى ، وتلك إشارة إلى آيات السورة ، والمراد بالكتاب : السورة ، أي تلك الآيات آيات السورة ﴿ **والَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ** ﴾يريد القرآن كله ، (هو الحق) أي ليس بمفترى و (لكن أكثر الناس) هم الكفار (لا يؤمنون) لا يصدقون بأنه الحق .﴿ **اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا**﴾ الآية . ابتدأ في هذه الآية الكريمة بذكر اسم الجلالة ، ثم ذكر بعد من أفعاله تعالى ما يستدل به على وحدانيته وأنه الإله الذي يجب أن يؤمن به. والظاهر من معنى الآية أن المراد : أنه رفع السماوات ورفعه إياها دون عمد ، فبهذا يتبين عظيم الفعل ويكون الإخبار بأمرين: رفع السماوات وبلا عمد وعلى أن لها عمد يكون إخبار برفع السماوات وإن لها عمد لن ترى ، ولا شك أن رفعها دونها البتة أتمّ في الاستدلال على

شيوخه

الشيخ أبو الحسن علي الخروبي الطرابلسي (والد أبي عبد الله صاحب التفسير)، زهرة بنت الحاج محمد البوديكي المصراتي (والدته) ، الشيخ أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي ، المشهور بزروق[8]، الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن[9] المشهور بالحطَّاب الكبير. الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزيتوني [10]، الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن أبي تريبة، الشيخ قاسم بن قلاع الطرابلسي [11]، الشيخ محمد بن الحاج تمام (وهو ابن عمة والدته)، الشيخ عبد النبي بن خليفة بن حامد بن عبد الحليم بن عبد المولى الصنهاجي [12]، الشيخ الصالح خليفة أبو غرارة[13]، الشيخ محمد المشهور بشَانِ الشَّان[14]، الشيخ عبد الرحمن بن عبيد التاجوري [15]، الشيخ أبو زكرياء يحيى بن علي البجائي.

تلاميذه

1. أبو نعيم رضوان الجنوي. [16]
2. عبد الرحمن الأخضري [17]
3. محمد بن عبد الرحمن الحضري الوزروالي[18]
4. محمد بن يوسف الترغي المستاري[19] .

مؤلفاته

الدرة الشريفة في الكلام على أصول الطريقة شرح الإرادة[20]،الجمل الوهبية على الحكم العطائية [21].شفاء الألم في التنبيه على بعض مقاصد الحكم[22].تفسير القرآن الكريم (رياض الأزهار وكنز الأسرار)، مزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس في التصوف[23].كفاية المريد وحلية العبيد[24].شرح الصلاة المشيشية[25].

الأنس في التنبيه على عيوب النفس[26].الحِكم[27].وقد أتمَّ الدكتور محمد حسين القذافي تحقيق الجزء الأول من هذا التفسير (تفسير القرآن الكريم ،رياض الأزهار وكنز الأسرار) ويشمل السور الآتية : (الفاتحة ، والبقرة ، وآل عمران)، [28] وحقق غيره أجزاءً أخرى ومنهم : سعيد الساعدي عبد الله (الأنفال و التوبة)، الصادق احبيل الراقوبي (مريم و طه والأنبياء) ، عمران الهادي عامر(الفرقان و الشعراء و النمل) ، حسين أبوقنيدة (الأحزاب و سبأ وفاطر، ويس) نجيب علي رحيل (الصافات و ص و الزمر) . من خلال تحقيقي (لسورة الرعد) من تفسير الخروبي يمكنني القول بأن الخروبي قد سار على منهجية تكاد تغاير ما سار عليه من سبقه في هذا المجال ، إذ أنه نوّع وأجاد التنويع في استخدام كل الأساليب المتاحة للمفسر المبدع .

فاللغة حاضرة وبقوة في تفسيره بكل جوانبها الصرفية والنحوية والبلاغية ، كما تناول الفقه وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ ، ولطائف

التفسير ، والإشارة إلى القراءات المتواتر منها ، والشاذ ، وهو ما أشار إليه في مقدمته بقوله : "ومهما دعا الحال إلى التعرض إلى بعض المسائل من نحو ، ولغة وقراءات ، وغير ذلك من العلوم الظاهرة فلنتكلم عنها باختصار" [29]وسنرى كل ذلك جلياً واضحاً أثناء عرضنا للجانب التحقيقي من هذا

، فسواد الليل يستر ضوء النهار فيصير أسود بعدما كان أبيض منيراً وضوء النهار يستر سواد الليل فيعود أبيض منيراً بعدما كان أسود بهيماً،وهل هذا إلا فعل إله قادر مريد[40] . وقوله : ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾الإشارة إلى جميع ما تقدم من آثار أفعاله ، فهي آيات : أي أدلة للمتفكرين فيها يستدلون بها على وجود فاعلها ووحدانيته ووجوب اتصافه بأوصاف الكمال ، وغير المتفكرين يمرون عليها وهم عنها معرضون . وقوله : ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ الإشارة إلى ما تقدم من اختلاف أحوال ما ذكر في الآية من قطع الأرض والجنات والزرع والنخيل ، ففي ذلك أدلة على وحدانية فاعلها وقدرته وإرادته (لقوم يعقلون) أسرار الله في اختلاف أحوال مصنوعاته وتباين أنواع مخلوقاته . قوله تعالى :﴿ **وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ إلى قوله ﴿**خَالِدونَ** ﴾تعجب خطاب لنبينا -ﷺ- والمعنى : إن تعجب يا محمد من هؤلاء الكفار وإعراضهم عن الحق وعن التفكّر في آيات الله وفي عظيم فعاله في أرضه وسمائه وعن تعقل معانيها وأحوالها ، فذلك عجب يتعجب منه وعجيب غريب . قولهم﴿ **أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا** ﴾نعود خلقاً جديداً ، ولو نظروا في أفعاله عز وجل وإيجاد الأشياء من العدم وبدء النشأة لعلموا أن القادر على إيجادها من العدم وإنشائها أول مرة قادر على إعادتها بعد انعدامها لأن الإعادة أهون من الإنشاء وأيسر ، فإنكارهم الإعادة عجب[41]. وقوله﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ**﴾ الإشارة إلى المنكرين أن يعودوا خلقاً جديداً والمعنى : (إن الذين قالوا أئذا كنا تراباً) الآية . هم الذين كفروا بربهم ، ذكرهم على سبيل الذم والتوبيخ ، وإضافتهم إلى اسم الرب جل جلاله لإقامة الحجة عليهم حيث كفروا بمن هو رباً لهم عاملهم بمقتضى اسم الرب ، وليست هذه الإضافة إضافة تقريب . وقوله :﴿ **وَأُوْلَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ** ﴾إخبار عن حالهم في الآخرة ، وهي كون الأغلال في أعناقهم ، وفيه وعيد . وقوله : ﴿**وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدونَ**﴾ إخبار بخلودهم في النار ، وفيه أيضاً وعيد ، وصحبتهم للنار عبارة عن لزومهم لها كلزوم الصاحب لصاحبه ، وفي هذا الاخبار والذي قبله تنفير من أحوال الكفار وتخويف مما توعدوه . قوله تعالى : ﴿**وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ**﴾ الآية . إلى قوله ﴿**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** ﴾ الضمير في (يستعجلونك) للكفار ، والسيئة هو ما استعجلوه من العذاب بقولهم ﴿ **فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا**﴾ ﴿ **أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾وقولهم : ﴿ **فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ**﴾ إلى غير ذلك مما استعجلوه من العذاب ، والحسنة عبارة عن العوافي والإحسان إليهم ، واستعجالهم بالنقم إنما هو على سبيل الاستهزاء منهم بما أنذرهم به من عذاب الله . وقوله : ﴿**وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاَتُ** ﴾ : جمع مثلة . وهي العقوبة المنكلة التي تجعل الإنسان مثلاً يمثل به ، ومنه المثلة بالقتلى وبالعبيد ، والمعنى : إن هؤلاء الذين يستعجلونك بالعذاب قد نزل بأمم أمثالهم مكذبين فعوقبوا على كفرهم وعنادهم بعقوبات فمالهم طلبوا ذلك استهزاء مع تحقيق وقوعه بأمثالهم ، فالآية مبينة لسفاهتهم وخطيئتهم حيث استعجلوا شيئاً لا يبعد وقوعه بهم كأمثالهم ، ثم ذكر سبب تأخير ماستعجلوه من العذاب عنهم في الدنيا ، وهو وصفه تعالى بالمغفرة الذي عامل به الناس مع عظمته[35].وقوله :﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** ﴾ ثم هنا لعطف الجمل لا للترتيب ، لأن الاستواء على العرش قبل رفع السماوات حسبما علم ذلك في قوله -ﷺ- (كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السماوات والأرض)[36] ، والعقيدة إنه سبحانه استوى على العرش على الوجه الذي قاله ، وبالمعنى الذي أراده استواء منزهاً عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا بحملة العرش بل العرش وحملته وغير ذلك من العوالم على اختلاف أنواعها محمولون بعظيم قدرته ، ومقهورون في قبضته ، كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان وقوله: ﴿**وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى** ﴾هذا أيضاً من أفعاله العظيمة الدالة على عظمته جل وعز ، وتسخير الشمس والقمر هو سير كل واحد منهما في فلكه بقدر معلوم في مطالعهما إلى مغاربهما ، وغير الشمس والقمر من الكواكب داخل في معنى التسخير لأنها أيضاً مسخرة تجري في أفلاكها كالشمس والقمر، وإنما خصهما بالذكر لظهور جريانهما ولترتيب أحكام عليه دون جريان غيرهما من الكواكب، والأجل المسمى هو انقضاء الدنيا وفساد هذه البنية[37].

وقوله :﴿ **يُدَبِّرُ الأَمْرَ**﴾ عام في جميع الأمور ، أي يقضيه تعالى وحده ، قاله مجاهد لا وزير له ولا معين ، وقيل : معناه يبرمه وينفذه ، وعبر بالتدبير تقريباً للإفهام .

وقوله : ﴿**يُفَصِّلُ الآيَاتِ** ﴾أي آيات كتبه المنزلة وتفصيلها بيان ما كان مجملاً منها أو فصلها في التنزيل بإنزالها بحسب الوقائع وبحسب المواطن .

وقوله﴿ **لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ**﴾ترج[38]بحسب البشر،والمعنى:أنه ظهر للعبيد في حضرة الأفعال بعظيم أفعاله ليؤمنوا به ويكونوا على يقين من لقائه تعالى فيعملون بحسب ذلك .

قوله تعالى ﴿**وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ** ﴾الآية إلى قوله ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾قدم الكلام قبل هذا على أفعاله في سمائه ، ثم ذكر الآن أفعاله في أرضه ليعلم أنه تعالى المتصرف فيها . فقال : ﴿**وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ** ﴾فالكلام في ذكر الفاعل قبل الفعل كما مر ، ومد الأرض : أي بسطها ، وهذا يقتضي أنها بسيطة لا كرة ، وهذا هو ظاهر الشريعة ، وللناس في هذا المعنى كلام مذكور في رسائل الآلات الفلكية . وقوله : ﴿**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ** ﴾ هي الجبال الثابتة ، يقال : رسا يرسو إذا ثبت وأرساها بمعنى أثبتها أن تميد وقوله : ﴿**وَأَنْهَارًا** ﴾ أي وجعل فيها أنهاراً وقوله﴿ **وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ** ﴾المراد بالزوج في هذه الآية الصنف والنوع لا الزوج المعروف في المتلازمين الفردين في الحيوان وغيره ، ومنه قوله سبحانه : ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ** ﴾الآية . ومنه ﴿ **وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** ﴾ وهذه الآية تقتضي أن كل ثمرة يوجد منها نوعان ، وذلك حين مد الأرض ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت ، وقيل : أراد بالزوجين الأسود والأبيض، والحلو والحامض، والصغير والكبير، وما أشبه ذلك . وقوله : ﴿**يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ** ﴾ أي يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل يحتملها جميعاً ، والدليل على الثاني قراءة حميد بن قيس [39]:﴿**يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ** ﴾ فنصب الليل ورفع النهار وغشيان أحدهما الآخر يعني يغطيه ويستره

اطلاع الله عليهما . وقوله : ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ ،والمعقبات : الحفظة الذين يحفظون أعمال العبيد والحفظة لهم أيضاً حفظة ، قاله : الحسن وروي فيه عن عثمان بن عفان حديثاً عن النبي - ﷺ - ، وفي البخاري : معقبات ملائكة حفظة يعقب الأول منها الآخر [45].وقال الزمخشري [46]"سامحه الله تعالى ": يحفظونه من أمر الله هما صفتان جميعاً ، وليس من أمر الله للحفظ ، كأنه قيل: له معقبات من أمر الله ، أو يحفظونه من أجل أمر الله ، أي من أجل أن الله أمرهم بحفظه ، والدليل عليه قراءة علي[47]وابن عباس[48] وزيد بن علي وجعفر بن محمد[49] . وعكرمة[50]:يحفظونه بأمر الله أو يحفظونه من أمر الله ونقمته إذا أذنب بدعائهم له ومسألتهم ربهم يمهلهم رجاء أن يتوب وينيب. . قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ الآية إلى قوله : ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ، كان المشركون يعيبون رسول الله -ﷺ- بالزواج والولادة ظناً منهم أن ذلك نقص في الرسالة ومناقص لأحوال النبوة كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق إلى غير ذلك من الأمور الجائزة في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام وربما كانت كمالاً في حقهم لأنها وإن كانت أحوالاً عادية في عباداته في حقهم عليهم الصلاة والسلام لأنهم في حال استعمالهم لها يشهدون فيها معاني أسماء الأفعال ومعاني أسماء الصفات مع ما في فعلهم لها من التشريع للأمم ، وفي هذا كمال لهم عليهم الصلاة والسلام والمشركون لمّا عميت بصائرهم وطبع على قلوبهم لم يدركوا هذه المعاني ، وكانوا يعيبون ذلك على رسول الله [-ﷺ-]فأنزل الله تعالى :﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً ﴾ الآية،رداً على المشركين والمعنى: إن ما عبتموه على محمد فلقد أرسلنا رسلاً من قبله وجعلنا لهم أزواجاً وذرية فمالكم لم تعيبوا عليهم ذلك مع اتحاد الفصل المعيب واتحاد الدعوى، فتخصيصكم لمحمد -ﷺ- دليل على أن ذلك منكم عناد له . والآية رد على المشركين الذين كانوا يقترحون الآيات على رسول الله -ﷺ- والمعنى : ما كان للرسل أن يأتوا بآيات برأيهم ، ولا أن يأتوا بما يقترح عليهم ، لا يأتون بآية إلا بإذن الله ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ لفظ عام في جميع الأشياء التي لها آجال ، وقال الضحاك والفراء والمعنى: لكل كتاب أجل وهذا العكس غير لازم ولاوجه له، إذاً المعنى تام في ترتيب القرآن قال "رحمه الله": بل يمكن هدم قولهما ، فإن الأشياء التي كتبها الله –ﷻ– أزلية باقية كتنعيم أهل الجنة وغيره يوجد كتابها لا أجل له. وقوله : ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ كان المشركون ينكرون النسخ فقال تعالى : ﴿يَمْحُو اللهُ ﴾ الآية ، ومحو الشيء زواله وإثباته إبقاؤه ، والمعنى : إن الله سبحانه يمحوا من الأمور ما يشاء ، ويغيرها عن أحوالها مما سبق في علمه محوه وتغييره ويثبتها في الحالة التي ينقلب إليها حسبما سبق في علمه ، وتخبط الناس في معنى هذه الألفاظ والذي يتخلص به مشكلها أن نعتقد أن الأشياء التي قدرها الله تعالى في الأزل وعلمها بحال ما لا يصح فيها محو ولا تبديل وهي التي تثبت في أم الكتاب ، وسبق بها القضاء ، وهذا مروي عن ابن عباس وغيره من أهل العلم ، وأما الأشياء التي أخبر الله تعالى أنه يبدل فيها وينقل كعفو الذنوب بعد تقريرها وكنسخ آية بعد تلاوتها واستقرار حكمها ففيها يقع المحو والتثبيت فيما يقيده الحفظة ونحو ذلك . قوله: ﴿ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ ويكون ظلمهم فقل :﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ﴾ ﴿ عَلَى ﴾ هنا بمعنى : أي مع ظلمهم ،قيل المعنى إذا تابوا والظاهر من معنى المغفرة هنا هو ستره في الدنيا وإمهاله للكفرة ، ألا ترى التيسير في لفظ مغفرة وإنها منكرة مفعلّة وليس فيها مبالغة كما في قوله تعالى : ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴾[i]ونمط الآية يعطي هذا ، ألا ترى حكمه عليهم بالنار ، ثم قال : (يستعجلونك) فلما ظهر سوء فعلهم جب في نفس السامع تعنيفهم ، وأخبر بسيرته في الأمم وإنه يمهل مع ظلم الكفر ، ولم يرد في الشرع أن الله تعالى يغفر ظلم العباد[ii] . وقوله : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ تحذير ، وتخويف بعد ما يقتضي الرجاء ، وهو قوله ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ ﴾ليجمع في الآية بين مقتضيات الرجاء والخوف لئلا يندم العبد إلى أحدهما،[فالرجاء] بسطه والخوف يقبضه ، فبالرجاء يتقرب وبالخوف يتأدب . **وقوله : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾** الذين كفروا في هذه الآية كفار قريش ومن قال بقولهم فلم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله -ﷺ- عناداً فاقترحوا الآيات كالملك والكنز وغير ذلك ، وإلى هذه الأشياء الإشارة بقولهم :(آية) [فخاطبه] ربه تبارك وتعالى بما يقتضيه حاله ومقامه ، فقال : **﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾** أي رسول منذر لهم من العذاب كغيرك من الرسل ، وما أنزل عليك من الآيات كاف في صحة رسالتك ، وليس بشرط ما اقترحوه من الآيات ، ولولا عنادهم وتصميمهم على الكفر لا اكتفوا بأية آية كانت ، إذ الآيات كلها سواء في صحة الدعوة بها لا تفاوت بينها.

واختلف في قوله : **﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾** فقال عكرمة وأبو الضحى: المراد بالهاد محمد -ﷺ- ، وهاد عطف على منذر كأنه قال : إنما أنت منذر وهاد لكل قوم(ع) [42]، فيكون هذا المعنى يجري مع قوله -عليه السلام- : " بعثت إلى الأسود والأحمر " [43] وهاد على هذا في هذه الآية بمعنى داع إلى طريق الهدى . وقوله : ﴿ وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾أي ويعلم ما تغيض الأرحام ويعلم ما تزداد ، وتغيض معناه : تنقص ، ومنه غيض الماء ، واختلف في صورة الزيادة والنقصان ، فجمهور المتأولين على أن غيض الرحم هو نقص الدم على الحمل ، وقال الضحاك : غيض الرحم، أن تسقط المرأة الدم ، والزيادة أن تضعه لمدة كاملة ، ونحوه لقتادة ، ويدخل في الزيادة عدد ما في الرحم من الولد فقد يزيد على الواحد[44] . وقوله : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ الغيب : ما غاب عن الإدراكات ، والشهادة ما شوهد بها ، فهو تعالى عالم بذلك كله جملة وتفصيلاً . وقوله:﴿ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ فالكبير صفة تعظيم على الإطلاق فكل كبير بالنسبة إلى كبريائه حقير،والمتعال:من العلو فكل شيء دونه وقوله:﴿ سَوَاء مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ ﴾ إخبار باستواء سر القول وجهره عنده تعالى ، فهو سبحانه لا يخفى عليه ما يسر به كما لا يخفى عليه ما يجهر به ، وقوله ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ أي سواء عنده تعالى ذلك في علمه فعلمه بالذاهب مختفياً في الليل كعلمه بالسارب في النهار ، والسارب الذاهب في سربه بفتح السين أي في طريقه،يقال:سرب في الأرض سروبه،فالآية تضمنت أنه تعالى يعلم ما خفي من الأقوال والأفعال وما كان منها جهراً على حد سواء ، وذهب ابن عباس ومجاهد إلى أن المستخفي بالليل والسارب بالنهار رجل واحد مريب بالليل ويظهر بالنهار البراءة في التصرف مع الناس ، والمعنى : إن هذا والبريء من الريب سواء في

المراد بالكتاب القرآن ، والمعنى : شهيد بيني وبينكم الذي عنده علم القرآن الشاهد بتوحيد الله وبصحة رسالتي ، ويعترض هذا القول بأنه عطف الصفة على الموصوف وذلك لا يجوز ، وإنما تعطف الصفات بعضها على بعض ، قال : ويحتمل أن تكون (من) في موضع رفع بالإبتداء والخبر محذوف تقديره : أعدل وأمضى قولاً ونحو هذا مما يدل عليه لفظ شهيد ، ويراد بذلك الله تعالى. وما أمر به - ﷺ- من جواب الكفار في هذه الآية فهو جواب المؤمن لكل مكذب لما جاء به سيدنا -ﷺ- وبه تقوم الحجة عليه.

انتهى تفسير سورة الرعد ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

النتائج

1. يعد الخروبي من أعلام ليبيا، الذين تربوا على التقوى، والإيمان، والورع ونهلوا من القرآن وعلومه القدر الغزير بما برز في نتاجهم الفكري، الذي من بينه هذا التفسير القيم.
2. تفسيره حافل بأسرار البيان القرآني، ونظمه وألفاظه، وأسرار ظاهره وباطنه، مما يدل على المكانة العلمية لمؤلفه، وغزارة علمه.
3. مقدرته على الموازنة بين علمي الظاهر والباطن.
4. الإعتدال في التصوف بالبعد عن الغلو فيه، وبجعله تابعاً للتفسير الظاهر، مع أنه من شيوخ التصوف، والمؤلفين فيه.
5. تجنب الخوض في المسائل الكلامية والفقهية التي فيها جدال بين أئمة المذاهب
6. الاهتمام بالتفسير اللغوي، لكثير من الألفاظ القرآنية، والإكثار من إيراد القراءات.
7. الاعتماد على أمهات الكتب في التفسير، والحديث، واللغة، وغيرها.

الخلاصة

ومن خلال هذه النصوص التي نقلتها في هذا البحث نلاحظ أن للخروبي سببان رئيسان في تأليف هذا الكتاب: **الأول**: هو استنباطه لبعض الأسرار العلمية العظيمة التي لم يسبقه إليها أحد، وتشجيع بعض العلماء - الذين يثق بهم لوضع مثل هذا التفسير وذلك بعد عرض ما استنتجه من هذه الأسرار العظيمة عليهم . و**الثاني**: هو محاولته الجمع بين نوعين من أنواع التفسير، هما التفسير بالظاهر والتفسير بالباطن أو كما يسميهما هو الشريعة والحقيقة. فتفسير الخروبي لو قدر له الخروج فإنه يضاهي العديد من التفاسير كتفسير ابن عطية، والزمخشري، والقرطبي، والبحر المحيط.

المراجع

1. شجرة النور الزكية- في طبقات المالكية- محمد بن محمد بن مخلوف- دار الكتاب العربي- بيروت- د.ط – د.ت .
2. عبد الله الترغي ومختار الهادي بن يونس(1995) ، (محمد بن علي بن مصطفى الخروبي إفادات عن سيرته ومؤلفاته)، أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي ص259 -323 .
3. محمد حسين القذافي (1995): (حياة أبي عبد الله الخروبي في طرابلس وتونس والجزائر والمغرب) ، أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي ، ص197.
4. إبراهيم رفيدة (1995) (أبو عبد الله الخروبي الطرابلسي فكره الصوفي وتفسيره) ، بحث ، أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي ص133.
5. إبراهيم رفيدة (1995) (أبو عبد الله الخروبي الطرابلسي فكره الصوفي وتفسيره) ، بحث ، أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي ص135.
6. للدكتور إبراهيم رفيدة (1995) (أبو عبد الله الخروبي الطرابلسي فكره الصوفي وتفسيره) ، بحث ، أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي ص136.
7. محمد حسين القذافي (1995): (حياة أبي عبد الله الخروبي في طرابلس وتونس والجزائر والمغرب)، أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي، ص121.
8. أحمد بن القاضي المكناسي (1973 م) جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس ـــ دار المنصور للطباعة والوراقة – الرباط-د.ط-. ص 128
9. أحمد بن الحسين النائب الأنصاري المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب-منشورات مكتبة الفرجاني – طرابلس – ليبيا-د.ط، د.ت . ص190-194.
10. أحمد بن القاضي المكناسي (1973 م) جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس ـــ دار المنصور للطباعة والوراقة – الرباط-د.ط-. ص 240-241.
11. أحمد بن الحسين النائب الأنصاري المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب-منشورات مكتبة الفرجاني – طرابلس – ليبيا- د.ط ، د.ت 200-202.
12. أحمد بن الحسين النائب الأنصاري المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب-منشورات مكتبة الفرجاني – طرابلس – ليبيا- د.ط ، د.ت . ص202-203.
13. أحمد بن الحسين النائب (1963م) نفحات النسرين والرياح ممن كان بطرابلس من الأعيان –الأنصاري ، تم : على مصطفى المصراتي – منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر بيروت- لبنان- ط/ الأولى – ص 120-121.
14. أحمد بن الحسين النائب (1963م) نفحات النسرين والرياح ممن كان بطرابلس من الأعيان – أحمد بن الحسين النائب الأنصاري ، تم : على مصطفى المصراتي – منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر بيروت- لبنان- ط/ الأولى – 1963م.ص121- 122
15. أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي شرح الإرادة-- مخطوط-مركز جهاد الليبيين-قسم الوثائق والمخطوطات- رقم (822) .ص 1
16. للعباس بن إبراهيم (1979م) الأعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام - المطبعة المكية بالرباط- .د.ط ص227-236 .
17. أحمد بن الحسين النائب الأنصاري المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب-منشورات مكتبة الفرجاني – طرابلس – ليبيا- د.ط ، د.ت ص 206.

الكتاب العزيز –- تحقيق وتعليق عبد الله بن ابراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد ابراهيم – دار الكتاب الإسلامي – الطبعة الثانية . ص 133.
36. أخرجه البخاري في صحيحه (2699/6) باب وكان عرشه على ماء وهو رب العرش العظيم من حديث عمران ابن حصين.
37. عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، (1997م)الجواهر الحسان في تفسير القرآن –تحقيق- عبد الفتاح أبوسنة – دار إحياء التراث العربي – مؤسسة التاريخ – ط/ الأولى .
38. إبن المنظور 1412هـ لسان العرب.– نسق وعلق عليه ووضع فهارسه علي شيري- دار إحياء الثرات- مؤسسة التاريخ العربي- بيروت – لبنان –ط/ الثانية .
39. ابن أبي حاتم 1271هـ- 1952م ،الجرح والتعديل –– دار إحياء الثرات العربي – بيروت ص 28
40. لأبي حيان الأندلسي الغرناطي1992م البحر المحيط في التفسير– دار الفكر – طبعة سنة 1992م.
41. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل –– شرحه وضبطه وراجعه يوسف الحمادي ، مكتبة مصر سعيد جودة السمار وشركاه. ص 504.
42. القاضي أبي محمد عبد الخالق بن غالب بن عطية الأندلسي تفسير ابن عطية – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز –- تحقيق وتعليق عبد الله بن ابراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد ابراهيم – دار الكتاب الإسلامي – الطبعة الثانية . ص 504 .
43. أخرجه مسلم في صحيحه (370/1) كتاب المساجد ومواضع الصلاة من حديث جابر ابن عبد الله.
44. عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، (1997م)الجواهر الحسان في تفسير القرآن –تحقيق- عبد الفتاح أبوسنة – دار إحياء التراث العربي – مؤسسة التاريخ – ط/ الأولى .ص362.
45. عند البخاري في صحيحه ، (كتاب السير – باب تفسير سورة الرعد) .
46. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل –– شرحه وضبطه وراجعه يوسف الحمادي ، مكتبة مصر سعيد جودة السمار وشركاه. ص 508.
47. ابي عبدالله محمد ابن أحمد الدمشقي، 1417ه ، طبقات علماء الحديث ، مؤسسة الرسالة ، بيروت –ط – الثانية .
48. التاريخ الكبير – البخاري – دار الفكر- بيروت- ص 403
49. شمس الدين الذهبي 1414ه سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي مؤسسة الرسالة بيروت ط العاشرة .

18. العباس بن إبراهيم (1979م) الأعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام -المطبعة المكية بالرباط- د.ط ص 185.
19. العباس بن إبراهيم (1979م) الأعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام -المطبعة المكية بالرباط- د.ط ص 192-.208
20. محفوظة في مركز دراسات جهاد الليبيين ، قسم الوثائق والمخطوطات ، تحت رقم (822) .
21. الطاهر أحمد الزاوي (1961م) ،أعلام ليبيا ، نشر وتوزيع مكتبة الفرجاني بطرابلس –ط/ الأولى ص287.
22. الهادي بن يونس(1995) ، (محمد بن علي بن مصطفى الخروبي إفادات عن سيرته ومؤلفاته)، أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي ص351.
23. لعمر رضا كحالة معجم المؤلفين /– دار إحياء التراث-بيروت لبنان –د.ط، د.ت ص 6- 7.
24. إسماعيل باشا البغدادي هداية العارفين –– مكتبة المتنبي – بيروت لبنان – طبع بمعاينة المعارف الجليلة- اسطنبول – د.ط ، د.ت ص 245
25. الطاهر أحمد الزاوي (1961م) ،أعلام ليبيا ، نشر وتوزيع مكتبة الفرجاني بطرابلس –ط/ الأولى ص275.
26. إسماعيل باشا البغدادي هداية العارفين –– مكتبة المتنبي – بيروت لبنان – طبع بمعاينة المعارف الجليلة- اسطنبول – د.ط ، د.ت ص 245.
27. لأبي عبد الله محمد بن علي الخروبي شرح الإرادة- - مخطوط- مركز جهاد الليبيين- قسم الوثائق والمخطوطات- رقم (822) .ص 24.
28. أحمد بن القاضي المكناسي (1973 م) جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس –– دار المنصور للطباعة والوراقة – الرباط-د.ط-. ص 322.
29. ابي عبدالله محمد الخروبي، رياض الأزهار وكنز الأسرار ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم (364) ص 8.
30. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار الجيل – بيروت- 1408هـ-1988م.ص 194.
31. لإسماعيل باشا محمد أمين، الإيضاح المنون في الذيل عن كشف الظنون من أسماء الكتب والفنون–- مكتبة المثنى – بيروت - د.ت .ص 64
32. ابن حجر العسقلاني (1986) لسان الميزان- - مؤسسة الأعلى- بيروت- 1406هـ.
33. القاضي أبي محمد عبد الخالق بن غالب بن عطية الأندلسي تفسير ابن عطية – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز –- تحقيق وتعليق عبد الله بن ابراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد ابراهيم – دار الكتاب الإسلامي – الطبعة الثانية . ص 107.
34. لأبي الفداء – عماد الدين إسماعيل بن كثير – البداية والنهاية، مطبعة المعارف بيروت- مكتبة النصر- الرياض – ط/ الأولى – 1966م .
35. القاضي أبي محمد عبد الخالق بن غالب بن عطية الأندلسي تفسير ابن عطية – المحرر الوجيز في تفسير